بدلاً من لوم الضحية

أسامة عرابي*

■ لماذا نتجاهل الحقائق على الرغم من أنها صلبة وعنيدة، ونقف عند الظرفي والآني من الأحداث والوقائع؟ أليس الحاضر تاريخاً؟ هل نسينا تصريح الشيخ بيار الجميل وزير داخلية لبنان عام 1969الذي أعلن فيه أن قوة لبنان في ضعفه، وهو ما يجري تجسيده الآن على أرضه من قبل النازية الجديدة (اسرائيل)؟ هل غاب عنّا ما كتبه شاعرنا الرائد الكبير أنسي الحاج في ملحق «النهار» بتاريخ 1968/7/7ردّاً على الحملة التي قادها المرحوم العميد ريمون اده تأييداً لمطلبه القاضي باستدعاء قوات الطوارئ الدولية الى لبنان متسائلاً بوضوح عما اذا كان لبنان (أبرشية أو ضيعة تعيش من تربية البقر، وكل مطلبها حراس يؤمنون لها الاستمرار في حلب البقر).. ثم يشتد صراخ صاحب (لن) قائلاً: نطلب البوليس الدولي ليحمينا ممن؟ من العرب أم من اسرائيل؟ أم من نصف اللبنانيين؟ أم لتوفير زبائن لفنادق البلد؟ ليت الذين يؤرقهم هاجس السياحة وموسمه المتميز هذا العام في لبنان، ويتباكون على ضربه، أن يعوا درس التاريخ وينطلقوا منه في فهم ما يجري ويدور الآن، بدلاً من لوم الضحية وتحميلها كل المسؤولية، وكأن وظيفة وزارة الحرب الاسرائيلية أمست دفاعية، وليست أداة لتحقيق مخطط نجد عناوينه الرئيسة في الرسالة التي بعثها وايزمان الى لويد جورج عام 1919 في أهمية الاستيلاء على مياه الحاصباني ومرتفعات جبل الشيخ وأن يكون نهر الليطاني حدود اسرائيل الشمالية مع لبنان.

ثم جاء غزو لبنان عام 1982، ليستهدف ضمن ما يستهدف تأمين الحدود الشرقية لاسرائيل ودفع الفلسطينيين للهرب الى الأردن؛ باعتباره فلسطين المسماة بالأردن بتعبير اريل شارون في حزيران (يونيو) 1982. من هنا كان الحرص على اضعاف لبنان عسكرياً، واخراجه من حومة الصراع ضد اسرائيل في الحروب العربية الرسمية :1948، 1956، 1967، 1973، ومغزى التحذير الذي أطلقه شمعون بيريس وزير الحرب الاسرائيلي الأسبق: (ان الأردن فهم الرسالة عام 1970، ولذلك على لبنان أن يفهم هو الآخر ويستخلص النتائج).

لذا عمدت اسرائيل الى الالحاح على ضرورة نزع سلاح الميليشيات المعادية لها في لبنان وطرد عناصرها ولو كانوا (لبنانيين في جنسيتهم ودورهم السياسي) وفق ما ذهب اليه الجنرال رفائيل ايتان رئيس أركان الجيش الاسرائيلي الأسبق، توطئةً لابرام معاهدة كامب ديفيد أخرى مع لبنان لتكريس حياده وفصمه عن محيطه العربي.

وذلك على نحو ما صنعته اسرائيل فجعلت من مؤامرة ترحيل الفلسطينيين من لبنان الى تونس في آب (أغسطس) 1983، فرصة سانحة لتنصيب بشير الجميل رئيساً للبنان بعدها بثلاثة أيام؛ توطئةً لعقد اتفاقية العار بينه وبين اسرائيل في 17 ايار (مايو) 1983داخل مستعمرة كريات شمونة الاسرائيلية، في ارتباط شرطي لا تخفى دلالته. الأمر الذي يشي اليوم بجدية العلاقة التي تصل ما بين العدوان الاسرائيلي البربري الهمجي على لبنان، ومحاولة فرض حقائق جديدة على الأرض ترمي الى تجريد حزب الله من سلاحه، وفرض التطبيع بمظاهره المتعددة على لبنان، بما يعنيه ذلك من قيام علاقات طبيعية بين البلدين، وترتيبات أمنية في الجنوب تضمن سلامة الجليل، وتيسير العلاقات الاقتصادية والسياسية المتبادلة، والاتفاق على دور امبريالي لقوات الطوارئ الدولية والقوة المتعددة الجنسيات. وهو ما لخصه بجلاء (آفي بارنز) الناطق الرسمي الاسرائيلي في محادثات المفاوضات اللبنانية ـ الاسرائيلية عام 1982 في مدينة خلدة اللبنانية فقال: (ان هدف اسرائيل هو اجلاءكل القوات الغريبة عن لبنان، واستعادة السلطة والسيادة على كل التراب اللبناني). ومن ثم الغاء (اتفاق القاهرة) بين لبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية، على الرغم من الوثيقة التي وقعها أبو أياد في حزيران (يونيو) 1973مع جوزيف شادر عضو المكتب السياسي لحزب الكتائب اللبناني، وحرصا فيها على النص بوضوح على أن بواعث الاعتداءات الاسرائيلية ضد القرى الحدودية، لا تعود الى تواجد الفدائيين في هذه المنطقة، بل الى مطامع الدولة الصهيونية في الأراضي اللبنانية. لذلك تدفقت الأسلحة الأمريكية الصنع، البالغة التطور على (جونية) لتستخدم ـ كما ذكر أبو أياد في حوار له مع الدبلوماسي والكاتب الصحافي ايريك رولو ـ ضد الفلسطينيين، على نحو ما أبلغه أمين الجميل رداً على سؤال له حول ماهية الاستعدادات العالية للميليشيات التابعة لحزبه، عقب زيارة قاما بها لمعسكر تدريب. بيد أن اسرائيل عمدت بُعيد دخولها الجنوب اللبناني الى البحث عن عميل شيعي، من طراز الرائد سعد حداد قائد جيش لبنان الحر! ونبيل بشاشة الذي أسس جيشاً سنياً في اقليم الخروب في الشوف بمعاونة الجيش الاسرائيلي، يكون على استعداد للتعاون معها بلا حدود؛ توقياً لخطر الطائفة الأكثر عدداً، واعانتها على تفخيخ العلاقة بين المسيحيين والشيعة تمهيداً لاشعال حرب طائفية، تهيئ لها السبيل لاعادة صياغة الأوضاع بالبلاد بما ينسجم ومخططها الصهيوني. لذلك لم يكن بالعجيب العاجب أن نقرأ لهنري كيسنجر وهو بعدُ وزير الخارجية الأمريكية تصريحاً أثناء الحرب اللبنانية يعلن فيها بثقة مريبة عن النتائج المتوقعة منها، وما ستفضي اليه من موت لثلث السكان، وهجرة لثلث ثانٍ، وفقدان لعقل الثلث الثالث الذي سيبقى بالبلاد. عندئذٍ لا يصادفون معارضة تُذكر، ويُمسي المناخ العام مُعبّداً لتمرير ما انتووا عليه. وبالطبع كان ارهاب الجيش الاسرائيلي القابلة التي تمكن المشروع الصهيوني دوماً من بلوغ غاياته ومراميه، كما فعلوا في لبنان خلال الأعوام 1970 و1975 و1978 أثناء ما سمي بـ(عملية الليطاني) و1982ابان الغزو الكبير للبنان حتى العاصمة بيروت وفي الجنوب اللبنانى هذا العام ولا سيما في (قانا) التي تعرضت للمجازر الوحشية مرتين، أولاهما في 18 نيسان (ابريل) 1996 والتي قُتل خلالها ما يربو على مئة مدني لبناني في مقر الكتيبة الفيجية التابعة لقوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان، وثانيتهما في 30 تموز (يوليو) 2006 وراح ضحيتها أكثر من ستين طفلاً وامرأة؛ على نحو ما انتهجوه من قبل حين عمدوا الى تغيير الواقع الديموغرافي في الأراضي الفلسطينية المحتلة؛ بهدف بلورة خطة استراتيجية ترمي الى تدشين اسرائيل دولة لكل يهود العالم، وتفريغ البلاد من أصحابها الأصليين، ولكن بعد (استخدامهم في القضاء على الحيوانات البرية المتوحشة والأفاعي، ودفعهم الى بلاد العبور المجاورة) وفق ما ذهب اليه هرتزل في مذكراته.

وكما نهضت اسرائيل بتجريد لبنان من تراثه الحضاري فسرقت من قصر الأونيسكو (كميات كبيرة من الرسوم الزيتية الفنية والتراث الثقافي، وسرقت اللوحات الفنية من الجامعة اللبنانية، ومن كلية العلوم سرقت جميع المعدات والأجهزة) حسب ما جاء في شهادة الشهيد جورج حاوي أمام اللجنة الدولية للتحقيق في انتهاكات القانون الدولي من قبل اسرائيل أثناء غزوها لبنان عام 1982، وسرقت أرشيف جريدة «النهار» النادر ومكتبة مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، فانها ترمي اليوم بالاضافة الى ما سلفت الاشارة اليه، الى تعويق تطور لبنان العام وتكبيل استقلاله المرتجي، واغراقه في فوضى التناقضات المذهبية والطائفية، على نحو ما جرى في العراق. غير أن ثقتي الكبيرة في وعي الشعب اللبناني العظيم، وحرصه على وحدته الوطنية، سيفوتان الفرصة على أعدائنا التاريخيين، وستعود بيروت منارة وطليعة للحداثة العربية، كما استقرت في ضميرنا ووعينا دوماً، بعد أن أمسى قدرها أن تعيش بين حربين طاحنتين لا تتركان للذاكرة اللبنانية فسحة خارجهما، وأن تحيا فصول الملهاة العربية التي تأبى الا أن تراوح في مكانها، مخلّفة انحطاطها السياسي وأسفارها الدموية. وتحية لزعيم هذه الأمة السيد حسن نصرالله الذي أجّل تحرير شهادة وفاة العرب بوقفته البطولية هذه، التي أعادت الاعتبار لنهج المقاومة وللكفاح المسلح مما أجبر اسرائيل من قبلُ على تنفيذ القرار 425 في لبنان، والجلاء عن أراضيها. واليوم تضيء العمليات الاستشهادية سماء لبنان، جنباً الى جنب مع المقاومتين الوطنيتين العراقية والفلسطينية العظيمتين، كما أدركها طلاب جامعة بيرزيت الفلسطينيون حين هتفوا بحسم في وجه الصهيوني الفرنسي جوسبان الذي رمى حزب الله بسخائم يعف عنها اللسان قائلين له: من بيرزيت لبيروت شعب واحد لا يموت.

ولن تُفلح الحملة المغرضة التي يشنها أعوان الصهيونية وصبيان أجهزة الأمن في تشويه الصورة الوضاءة لسيد المقاومة حسن نصر الله حين ينسبون اليه زوراً وبهتاناً قتل الشهيدين: حسين مروة ومهدي عامل ورفاقهما؛ فالقاتل معروف وهو أمير حركة التوحيد الشيخ سعيد شعبان لكنهم عنه يصدفون، والى السيد نصر الله يُصرون. وقانا الله شر أجهزة الافك والطغيان، وعاشت المقاومة لتحرر الشعوب العربية من حكامها الخونة.

* كاتب وناقد من مصر

المخططون للعدوان حذروا من سقوط الأنظمة العربية الموالية والمتواطئة خلال اسابيع

عمر نجيب*

■ الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك. الولايات المتحدة واسرائيل في سباق ضد الساعة في محاولة لتحقيق بعض ما خططا له في لبنان قبل أن تغلق النافذة الزمنية التي حددها لهما المخططون الاستراتيجيون والا ستنقلب الوضعية، لتفرز واقعا جديدا اسوأ لهما من ذلك الذي كان قائما يوم 12 تموز (يوليو) عندما شن حزب الله عمليته وانطلقت بعدها الحرب. ايام قليلة تبقى امام اسرائيل لتحقيق انجاز على الارض بعد أكثر من ثلاثة اسابيع فشلت خلالها في تحقيق حلمها للتخلص من تهديد حزب الله على حدودها الشمالية.

أغلب المخططين لسياسة واشنطن يحذرون منذ بدء الحرب من أن الحكومات العربية الصامتة أو المتواطئة مع البيت الأبيض لن تتمكن من الالتزام بالشلل واللاحركة تجاه حرب لبنان لأكثر من ستة الى ثمانية أسابيع على الأكثر، والا واجهت ثورات شعبية وحتى انقلابات عسكرية، فالعرب من الخليج العربي الى المحيط الأطلسي وجدوا وبعد نكسات واحباطات كثيرة مثالا في المقاومة اللبنانية للصمود ورد الكرامة.

نفس الخبراء أشاروا كذلك الى أن عامل الوقت لا يعمل لصالح اسرائيل لا عسكريا ولا اقتصاديا ولا سياسيا ولا معنويا. فالجيش الاسرائيلي عماد الكيان الصهيوني، أسس على عقيدة الحرب الخاطفة التي تجري على أرض الخصوم بينما تبقى الأراضي الاسرائيلية آمنة، وهذا الوضع انهار الآن حيث يتعرض أكثر من ثلث اسرائيل ليل نهار للقصف وحيث تضطر قيادة الجيش الى استدعاء مزيد من القوات للقتال ضد مقاومة وليس ضد جيش نظامي، وتراقب في قلق تدني معنويات جنودها حتى من وحدات النخبة. الاقتصاد الاسرائيلي يوجد في أزمة خانقة رغم ضخ واشنطن للمال لتعويض خسائره، الموسم السياحي ضاع ومعه زهاء 6 مليارات دولار وثلث الصناعات توقفت وميناء حيفا معطل والمنتوج الزراعي في كل المنطقة الشمالية تلف وأكثر من مليون اسرائيلي هجروا سكناهم و200 الف مستوطن قرروا ترك أرض الميعاد نهائيا الى غير ذلك.

المشكلة الآن هي أن هناك في ظل هذه الوضعية لدى اللاعبين الاساسيين في حرب لبنان أي اسرائيل والولايات المتحدة توجهان، الأول يوصف بالبراغماتي ويدعو الى وقف الحرب الآن والتفاوض مع لبنان وسورية وايران حول تسوية شاملة تشمل شبعا والجولان وسلاح حزب الله. والثاني ويوصف بالصقور ويريد مواصلة الحرب رغم كل ما يحفها من مخاطر حتى الوصول الى نصر ولو جزئي وصغير على حزب الله مثل احتلال حزام من الأرض في جنوب لبنان بعرض كيلومترين لتنزل فيه القوات الدولية التي يراد بها توفير نوع من الحماية لاسرائيل.

وجود هذا الاختلاف في الرأي ولد لدى بعض المراقبين ما اعتبروه خلافا حول بدء العد العكسي لوقف الاعمال الحربية بين اسرائيل والولايات المتحدة. مستشار الرئيس الامريكي لشؤون الامن القومي ستيفن هادلي قال «انها مسألة اسابيع، وربما أقل» ولكن وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس تحدثت عن مهلة «بضعة ايام» وقالت «اننا نتحدث عن ايام لا عن اسابيع قبل امكان التوصل الى وقف لاطلاق النار»، مضيفة «آن الاوان للانتهاء من العنف».

بعد هذا الموقف عدلت رايس موقفها نسبيا حيث أكدت ضرورة الحاق هزيمة عسكرية وسياسية بحزب الله اللبناني قائلة ان الوضع السابق في لبنان «لن يعود كما كان عليه» بعد أن يتم وقف اطلاق النار. وطالبت رايس الحكومة السورية باتخاذ قرار استراتيجي لم تحدد طبيعته لكنها أشارت الى أن السوريين يعرفون جيدا ما هو مطلوب منهم مضيفة «نحن ننتظر الأفعال ولا يهمنا الأقوال». كما دافعت رايس عن عدم اجراء محادثات مباشرة مع السوريين قائلة ان المحادثات معهم لا جدوى منها ما لم يسبق ذلك أفعال من جانبهم.

وأضافت رايس في تصريحات بثتها شبكة «س نيوز» الأمريكية ان الولايات المتحدة تعمل على التوصل الى وقف اطلاق النار في لبنان بصورة دائمة «تضمن عدم عودة الوضع الى ما كان عليه سابقا، ويضمن عدم الحاجة الى الحديث عن وقف اطلاق نار جديد بعد بضعة اشهر من وقف اطلاق النار». وأضافت رايس ان هناك درسا تعلمه الجميع مما حدث وهو أن حزب الله تمكن خلال السنوات العديدة الماضية من تحسين قدراته العسكرية بسبب الوجود السوري والنفوذ الايراني الواسعين في لبنان وحصل حزب الله على تقنيات عسكرية متطورة. وتابعت رايس قائلة «ومع ذلك فان حزب الله في نهاية الأمر سيهزم سياسيا وعسكريا».

في اليوم الثالث والعشرين للحرب زج الجيش الاسرائيلي بأكثر من 16 الف جندي في أتون المعركة وهو ما يعني ضرورة مشاركة ثلاثة أضعاف هؤلاء في خط القتال الخلفي، ومع ذلك لم يتمكن لا من التوغل للمسافة الأدنى المطلوبة ولا الحاق خسائر كبيرة بحزب الله، حتى أن المخابرات العسكرية الصهيونية أمان وزميلتها الأمريكية قدرت عدد شهداء حزب الله حتى اليوم 21 للحرب بـ80 فقط. وفي اليوم الذي طبل فيه رئيس الوزراء أولمرت بالنصر وتدمير البنى التحتية لحزب سياسي مسبق يتوخى بالأساس إطلاق سراح الأسيرين الاسرائيليين وبسط سيطرة القوات اللبنانية على كافة الاراضي ونشر قوة دولية تشكل بالأساس حماية لإسرائيل ضد عمليات حزب الله. لذلك فإن الادارة الامريكية، رغم هذه المجزرة، ستتوخى تحقيق هدفين: منع كل قرار من شأنه شجب العدوان الاسرائيلي، فبالأحرى التحقيق في مجازره، وثانيهما منع كل وقف لإطلاق النار لا يكون مسنودا بما تسميه باتفاق دائم.

وهذا يعني أن المشاورات ستستمر خلال الاسبوع الحالي مما يساير الى حد كبير مطلب إسرائيل بتمكينها من مزيد من الوقت حتى تواصل سياسة الدمار والإحراق وربما ارتكاب جرائم حرب أخرى.

لكن هل تستطيع الآلة الاسرائيلية، المدعومة من طرف الولايات المتحدة وبصمت النظام الدولي، تركيع المقاومة اللبنانية، وبالتالي خلق واقع جديد في المنطقة؟ لا تنحو المعطيات المتعلقة بسير العمليات نحو هذا المنحى. فبصرف النظر عن الخراب والدمار الذي لحق بالبنيات وبالمدنيين، فإن العدوان الاسرائيلي ربما، على العكس من ذلك، قوى رمزيا من المقاومة ومكونها الاساسي حزب الله وخلق التحاما أقوى داخل الجبهة الداخلية اللبنانية.

ومن ثم، فإن إسرائيل تشعر أن الاوضاع زادت تعقيدا، وان الهدف الرامي الى إعادة صياغة تشكل المنطقة يبدو صعب المنال، كما هو الامر أيضا بالنسبة لأسطورة بناء شرق أوسط جديد. إن السلام الدائم لا يمكن أن يتم ارتكازا على القهر والإذلال وإملاء الشروط، بل لا مناص من سلام يرتكز على شروط العدل والإنصاف والقبول بالشرعية الدولية بكل مكوناتها.

* كاتب واستاذ جامعي من المغرب

ماذا بعد جريمة قانا؟

د. الحسان بوقنطار*

■ تظاهر المواطنين في بيروت ضد مقر الأمم المتحدة، لا يشكل فقط تعبيرا عن استنكار المجزرة التي ارتكبتها مرة أخرى القوات الاسرائيلية ضد بلدة قانا في الجنوب اللبناني، ولكن أكثر من ذلك إدانة لعجز الأمم المتحدة والمجتمع الدولي عن وقف العدوان الاسرائيلي المستمر منذ ثلاثة أسابيع ضد لبنان.

فجريمة الحرب الاسرائيلية ضد مدنيين غالبيتهم من الأطفال لا يمكن أن تجد أي تبرير. فهي ليست إلا محصلة أكثر وحشية في مسلسل العدوان. وهي مرة أخرى تكرر نفس الجريمة ضد هذه البلدة التي ارتكبت في نيسان (أبريل) 1996 وخلفت أكثر من مئة قتيل في ظل حكومة كان يقودها شمعون بيريس. ولم تغفر آنذاك الولايات المتحدة للأمين العام الأسبق للأمم المتحدة بطرس غالي نشره تقرير التحقيق الذي أدان القوات الاسرائيلية. فمرة أخرى لا يمكن إدراك هذه الجريمة إلا بكونها تعبيرا عن احتقار إسرائيل للقانون والشرعية الدولية طالما أنها تتمتع بالمساندة الامريكية. لم يتمكن مجلس الامن من استصدار قرار يلزم إسرائيل بوقف إطلاق النار رغم اقتناع غالبية أعضائه بعدم تناسب رد الفعل الاسرائيلي مع الأسباب التي قادت إليه.

ووراء هذا العجز تقف الولايات المتحدة التي لا تتردد في البحث عن الذرائع التي تتفهم الممارسات الاسرائيلية. لقد طالب الأمين العام للأمم المتحدة مجلس الامن بشجب هذه الجريمة، وهو أقل ما يمكن فعله أمام هول المجزرة. ويدرك الامين العام أن الأمم المتحدة التي تتخبط في عجزها تنهار مصداقيتها أكثر أمام فشلها في القيام بإحدى مهامها الاساسية، وهي إقرار السلم والأمن الدوليين.. وأكثر ما يقلق الأمين العام قبل انتهاء مهامه تفشي ذلك الرأي الذي يعتبر أن الأمم المتحدة لا تملك أي شيء في مواجهة الولايات المتحدة. هذه الاخيرة بمساندتها المتواصلة لإسرائيل وبانحيازها لعدوانها، لا تخدم القوى المحبة للسلام، بل على العكس من ذلك تؤجج مظاهر التقاطع والصراع بين الشعوب والحضارات. فالخطاب الامريكي يبدو مليئا بالتناقضات. فهو يحاول أن يبرر مساندته للعدوان بالحديث عن معالجة شمولية تمتد الى جذور المشكلة، ويتناسى أن هذه الجذور تضرب بأعماقها في الاحتلال الاسرائيلي وفي رفضه الانصياع للقرارات الدولية التي اتخذت منذ أربعين سنة كما هو الأمر بالنسبة للقرار 242. فالمشكلة لا تكمن في سورية وإيران.

فهذه ليست سوى أطراف تتغذى من الجذور العميقة الكامنة في استمرار الاحتلال والأسرى والحصار بكافة أنواعه ورفض الاعتراف بالآخر. كلما شاع العدوان الاسرائيلي وعجزت الادارة الامريكية عن لجمه، تخرج من جديد قصة الشرق الأوسط الجديد. وعلى هذا المستوى ترفض الإقرار بأنه لا يمكن إعادة البناء إلا بإشاعة شروط الاستقرار والإنصاف والعدالة. ولا يمكن ان يتم ذلك إلا من خلال تسوية عادلة للصراع العربي ـ الإسرائيلي المصدر الاساسي للتوتر المستمر في المنطقة.

ولا يمكن أن يتم ذلك بدون نبذ كافة أشكال الاحتلال وضمان سيادة الشعوب على أراضيها. الإدارة الامريكية الحالية تبدو عاجزة عن قيادة مشروع للإصلاح البناء في المنطقة. فما يسمى بنظرية «الفوضى البناءة» تحولت الى فوضى عارمة فوق أرض الواقع. وفي كل تدخلاتها العسكرية لم تستطع الولايات المتحدة بلورة مشروع لإعادة البناء. ويبدو الإخفاق واضحا في أفغانستان والعراق وفلسطين. ففي كل هذه الأرجاء باتت تسود مظاهر اللااستقرار والعنف.

أكثر من ذلك، فإن المقاربة اليمينية الأمريكية لا يمكن إلا أن تضعف القوى المعتدلة في العالم العربي والاسلامي وتدعم القوى الراديكالية التي تتغذى من مثل هذه الجرائم التي لا تجد إلا الإدانة عبر العالم باستثناء الادارة الامريكية. فبمواقفها هذه، فإن الولايات المتحدة لا يمكن إلا أن تحصد مزيدا من الكراهية، ولا يمكن إلا أن تخلق أجيالا من المواطنين أكثر تطرفا وأكثر مناهضة للسياسة الامريكية. إن السؤال الاساسي بعد هذه الجريمة إنما يكمن في معرفة مستقبل تطور الاوضاع في المنطقة. لحد الساعة، فإن الجريمة لم تحدث تحولا بارزا.

فالإدارة الامريكية، التي تملك إمكانيات الضغط على إسرائيل لدفعها الى الالتزام بوقف إطلاق النار، ما زالت لم تغير منظورها للأشياء. صحيح أنه لا يمكن لها أن تستمر في تجاهلها لمطالب المجتمع الدولي المصدوم بجرائم إسرائيل، لكنها لحد الساعة لا تريد التعجيل بفرض وقف لإطلاق النار طالما أن إسرائيل لم تعتبر أنها حققت الهدف من العدوان. فهي ترى، على خلاف مواقف أخرى، أنه لا يمكن إقرار وقف لإطلاق النار بدون اتفاق سياسي يتوخى بالأساس إطلاق سراح الأسيرين الاسرائيليين وبسط سيطرة القوات اللبنانية على كافة الاراضي ونشر قوة دولية تشكل بالأساس حماية لإسرائيل ضد عمليات حزب الله. لذلك فإن الادارة الامريكية، رغم هذه المجزرة، ستتوخى تحقيق هدفين: منع كل قرار من شأنه شجب العدوان الاسرائيلي، فبالأحرى التحقيق في مجازره، وثانيهما منع كل وقف لإطلاق النار لا يكون مسنودا بما تسميه باتفاق دائم.

وهذا يعني أن المشاورات ستستمر خلال الاسبوع الحالي مما يساير الى حد كبير مطلب إسرائيل بتمكينها من مزيد من الوقت حتى تواصل سياسة الدمار والإحراق وربما ارتكاب جرائم حرب أخرى.

لكن هل تستطيع الآلة الاسرائيلية، المدعومة من طرف الولايات المتحدة وبصمت النظام الدولي، تركيع المقاومة اللبنانية، وبالتالي خلق واقع جديد في المنطقة؟ لا تنحو المعطيات المتعلقة بسير العمليات نحو هذا المنحى. فبصرف النظر عن الخراب والدمار الذي لحق بالبنيات وبالمدنيين، فإن العدوان الاسرائيلي ربما، على العكس من ذلك، قوى رمزيا من المقاومة ومكونها الاساسي حزب الله وخلق التحاما أقوى داخل الجبهة الداخلية اللبنانية.

ومن ثم، فإن إسرائيل تشعر أن الاوضاع زادت تعقيدا، وان الهدف الرامي الى إعادة صياغة تشكل المنطقة يبدو صعب المنال، كما هو الامر أيضا بالنسبة لأسطورة بناء شرق أوسط جديد. إن السلام الدائم لا يمكن أن يتم ارتكازا على القهر والإذلال وإملاء الشروط، بل لا مناص من سلام يرتكز على شروط العدل والإنصاف والقبول بالشرعية الدولية بكل مكوناتها.

* كاتب واستاذ جامعي من المغرب

كل بتاع وانتم بتاتيع!

نضال حمد *

■ «دى خسارة كبيرة.. خسارة لاسرائيل.. وخسارة للبتاع ده» هذه الكلمات ليست لأي فنان مصري او فنانة مصرية، فهي لم تكن لعادل امام او سمير غانم ولا هي لجورج سيدهم او محمد صبحي، ولا حتى لسيد زيان الذي قال في إحدى مسرحياته «الطشت قالي قومي استحمي».. كما أنها لم تخرج من افواه سهير البابلي وشويكار أو المرحومة سعاد حسني.. وهي ايضاً ليست من كلمات مسرحية مدرسة المشاغبين التي اصبح مؤلفها علي سالم أكبر مشاغب عربي متصهين مع سبق الإصرار، ويقال انه صار يرسم صورة استسلام مصر لكامب ديفيد بالفول والزيت.. وبدل قنابل الجيش المصري بالطعمية المصرية اي بالفلافل الفلسطينية والصواريخ المصرية بالنقانق اللبنانية... الكلمات اعلاه وان كانت توحي بشارعيتها وطابعها الحارتي فانها ليست مأخوذة ولا هي منقولة من أي من المسرحيات المصرية الكوميدية. ولا هي من الفاظ اي من الممثلين المصريين الذين اعلنوا منذ زيارة السادات الى القدس المحتلة وقيامه بالصلح مع الاحتلال الصهيوني موقفهم الرافض للتطبيع والاستسلام. ومنهم من استقال من مهامه كسفير نوايا حسنة للأمم المتحدة، كما فعل حسين فهمي احتجاجا على موقف الامم المتحدة السيىء والجبان. ومنهم من قرر التوجه الى بيروت للصمود والمقاومة كما سمعنا من الممثلة رغدة، التي سارت على طريق نادية لطفي ونور الشريف، حين حضرا من قاهرة المعتز وعبد الناصر وصلاح الدين الى بيروت المحاصرة سنة 1982 للتضامن مع شعبي لبنان وفلسطين.

بما ان هؤلاء كلهم لا تربطهم صلة بالجملة اعلاه والتي هي مصرية مئة بالمئة، يصبح من حق القارئ ان يسأل عن صاحب الكلمات «دى خسارة كبيرة.. خسارة لاسرائيل.. وخسارة للبتاع ده»..؟ صاحب تلك الكلمات هو بكل بساطة الرئيس المصري محمد حسني مبارك، الذي لم يمر عليه في حياته مشروع امريكي إلا وكان من رواده الأوائل وحراسه المؤتمنين. والرئيس المصري قال جملته تلك في حديث صحافي. وهو قصد بها حزب الله اللبناني العربي المقاوم، هذا الحزب الذي بمقاومته انتقم لشهداء الجيش العربي المصري، للأسرى المصريين الذين تم دفنهم احياء تحت رمل صحراء سيناء الحارق. ولاطفال مدرسة بحر البقر. ولكل شهداء مصر العربية القومية التي قادها الزعيم عبد الناصر نحو المقاومة والحرية، لا مصر كامب ديفيد الساداتية المباركية. حزب الله في معركته الكبرى، معركته لأجل الأمة، نيابة عن جيوش وحكومات ودول غائبة. دول تلف وتدور في الفلك الصهيوني ـ الأمريكي. دول لها أسرى في سجون الاحتلال ولم تستطع تحريرهم بالرغم من معاهدات كمب ديفيد ووادي عربة واوسلو والخ..

هل من المعقول ان يتلفظ رئيس عربي اصبح فوق سن التقاعد منذ فترة طويلة بمثل هذه الألفاظ التي لا نسمعها سوى في شوارع وفي أزقة القاهرة، وكذلك في افلام الكوميديا والمسرحيات الكوميدية؟ فلو كان الرئيس المصري شابا بعمر حليفه الاساسي وريث العرش الاردني الملك عبد الله، لقلنا لا يجوز. لكن الرئيس عجوز ودخل او سيدخل قريباً في العقد الثامن من عمره.. اي انه محنك ومجرب، يعني لا يمكن له ان يغلط ويرتكب غلطة او حماقة.. وهذا يعني إما أن الرئيس المصري ارتكب فعلا حماقة أو أنه قصد ما قاله بكل استكبار ولامبالاة وبدون احترام للحزب العظيم. وقد يكون الأخطر في تصريحات الرئيس مبارك هو انه عبر عن رايه مستخدما تلك العبارات بدون وعي وذلك بسبب التقدم في السن وعامل الذاكرة. مما يعني انه لم يعد يركز وان لديه ضعفا في التركيز والتحليل واستخدام العبارات والكلمات. في حال صح هذا التحليل فان على شعب مصر ان يطالب بانتخابات للرئاسة كي لا تصبح اكبر دولة عربية محكومة من قبل رئيس لا يفرق بين البتاع وحزب الله وبين كل انواع البتاتيع المصرية الكثيرة. والأخرى العربية الوفيرة. والى أن يصبح لدى العرب حكام منتخبون بصدق وحرية نقول للعرب قاطبة كل بتاع وانتم بتاتيع مباركة.

* كاتب من فلسطين يقيم في النرويج
www.safsaf.org

عجائب هذا الزمان الرديء

د. خالد الطراولي*

■ عالم يمشي على رأسه، غرائب وعجائب تتوالى على سفينة تتمايل، ركابها ميتون أو يقاربون الهلاك، وربان معتوه، نشروا له خريطة فضلّ الطريق واستعصت له القيادة والسفينة تدخل بحر الظلمات دون رقيب...

عالم يعيش قطبية مرهقة واحادية في القرار والتقرير، زعامة منفردة تقود العالم بإيديولوجية متطرفة حالمة، تلامس صراع الحضارات بوعي أو بغير وعي، تسعى إلى مصلحتها ولو على حساب البراءة وحقوق الإنسان، تبث الفرقة والطائفية والعداء بين إخوة الأمس وجيرانه وأشقائه كلما حلت واستقرت...

كانت عجائب الزمان القديم سبعة، جدرانا وتماثيل قائمة حملت وجدانا ومشاعر ومواقف، وعجائب هذا الزمان الرديء مشاهد ومواقف تحملها إلينا منذ زمن أقوال وأفعال ومقاربات، أعطت لهذه الأرض التي نقف عليها لونا قاتما ورائحة كريهة، تجلت أكثر هذه الأيام السوداء، فخرجت علينا في رداء أسود، على أرض سوداء تحترق بأجساد أطفال ونسوة أبرياء... عجائب تتأكد يوما بعد يوم تتجاوز المعقول والمنقول، حتى إذا أردت فهمها أو استيعابها حل بك الجنون أو الهستريا وأصبحت من المنبوذين...

1ـ بعثوا للمعتدي قنابل أكثر فتكا وأعظم قتلا وتهجيرا، ثم أرسلوا للضحية مساعدات إنسانية حتى لا تبقى أجسادهم دون دفن، ولا يبقى الجريح يئن فيقض مضاجعهم ولعله يحرك ضمائرهم إن كان للضمائر وجود! رفضوا أن تنتهي الحرب وتضع أوزارها قبل أن تنتهي مساعداتهم التي أرسلوها، فتبقى عبئا ثقيلا ضاغطا على الضمائر والأرواح.

2ـ حكام وسلاطين نددوا بمغامرة أخيهم واعتبروا مقاومته عن الأرض والعرض طفولة سياسية ومراهقة عسكرية، أظهروا لنا عقلانيتهم ورشدهم، فرفعوا بطاقات حمراء ضده وساندوا العدوان حفاظا على كراسيهم ولو على حساب المروءة والأخوة وحقوق الإنسان... فجاءتهم التهاني والاعتراف والاحترام من أعدائهم، وإذا جاءت مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل... فكيف إذا جاءت محمدتي من ناقص!

3ـ جماهير ما زالت تتيه في الصحراء، بعضها يسهر ليله على أصوات الفن والفنانات والمهرجانات، فيحضر بعشرات الآلاف راقصا منتشيا... شباب نسي دوره ودخل في سراب، لا يريد أن ينظر إلى واقعه الذليل خارجا وداخلا وخيّر الارتماء في أحضان اللامبالاة حتى ينسى أنه موجود وأنه بشر... والبعض الآخر ملقى على أريكته يتابع المذابح والمآسي ينتظر مهديا يلوح من الغمام يكفيه عناء الانتظار والسهر، ويطمئن ذاته بأنه مقاوم ولو من بعيد، فهو يفرح لفرح لبنان ويحزن لحزنه، وهذا فيه كفاية وزيادة!

4ـ مجتمع دولي لا يريد أن يفتح عينيه، يترقب أن يتم الإرهاب عمله إلى النهاية حيث لا يبقى لبناني يستطيع الوقوف، حتى لا يبقى اخضرار في لبنان، حتى لا يبقى صبي يبتسم... مجتمع دولي ينظر إلى الغضب يتعاظم حتى ينفجر ثم يتساءل فيما بعد عن السبب، يتساءل بكل نفاق عن التطرف عن المغالاة ونسي أن اليأس والظلم وازدواجية المعايير والكيل بميزانين طريق ومنفذ لهما. منهم الشامت وليس لنا له إلا الدعوة بالشفاء فالشماتة ليست من قيمنا ولو على العدو والمنافس لأنه يبقى بشرا، ومنهم اللامبالي فهو في همومه ومشاغله، وليس لنا إلا أن نذكره بمثل عربي قديم حتى لا يقال أكلت يوم أكل الثور الأبيض! ومنهم صاحب الحسابات السياسيوية والمصالح الضيقة ولو على حساب المبادئ وقليل من حقوق الإنسان، وهم طرف يميل حيث مالت مصالحهم وليس لنا لهم علينا إلا أننا نسينا تذكيرهم بأسواقنا واستهلاكنا ونفطنا وغازنا، والذنب في هذه الحال ذنبنا، والوزر تحمله ظهورنا... ومنهم العدو الواضح في تعامله، العامل على خدمة مشروعه والسعي للحط من آمالنا وأحلامنا فلا يجد فرصة إلا وسعى إلى النكاية بنا، وتحطيمنا وإطفاء كل روح أو شعلة تنير طريقنا... ولهؤلاء نقول الأيام دول ولا نعيب إلا حالنا ونسيان بعضنا وغفلته المدمرة أننا نعيش في غاب الداخل فيها مفقود والخارج منها مولود.

5ـ صحافيون وأشباه مثقفين وكتاب آخر الزمان تنادوا لحماية الظالم واتهام الضحية، منهم من كان من أبناء جلدتنا ويسكن حارتنا فاستعرض علينا حبره وقلمه وساند صاحب لقمة عيشه الذي ندد بمقاومة اللبنانيين، ونسي قولة الحق والشهامة والرجول